مهمة الأبوين

فى تربية الأولاد

تبدأ تربية الأولاد قبل أن يولدوا . ومع أن هـذه العبارة قد ابتذلت فاننا نحتاج الى توكيدها وتكرارها . ذلك لأن الولد ثمرة أبويه يرث منهما الصحة والذكاء، كما يرث طول القامة أو سواد الشعر أو صباحة الوجه أو دمامته . وكنا مثلا يستطيع أن يقول إن هـذه الطفلة تشبه أبويها فى قسمات وجهها واستدارته أو استطالته . وذلك بالطبع بحكم الوراثة التى لا يقتصر أثرها على الوجه بل يتجاوزه الى جميع أعضاء الجسم الداخلية . فكما ترث الطفلة أوالطفل سواد الحدقة أوسعة الجبهة كذلك ترث نوعا من القلب أو الكبد أو الدماغ قد يكون ميزة أونقصا فى حياتهما من حيث القوة على مقاومة المرض أوالضعف عنها . وقد أصبح فى مألوف الكتب الصحية أن تضع أول شرط لطول العمر أن يحصل الإنسان قبل ولادته على أبوين معمرين . ولا تنسى شركات التأمين أن تسأل الراغبين فى تأمينها عن أعمار آبائهم وعن الأمراض التى ماتوا بها . لأن الابن سيرث صحة أبويه .

فتربية الأولاد تقتضى قبل كل شىء من الأبوين أن يكونا صحيحين جسما وعقلا . وألا يقدم أحد على زواج إلا إذا وثق من صحته وصحة الجنس الآخر . ولكن صحة الأولاد — بعد أن يتوافر شرط الوراثة الحسنة — تحتاج إلى عناية كبيرة أيام الطفولة من توفير الطعام واللباس والكشف الطبى من وقت لآخر . والتربية فى معناها اللغوى هى التنمية . وهى كذلك فى معناها الفنى . لأننا حين نربى الطفل إنما ننمى قواه العقلية والجسمية . و إذا مرض الطفل فى سنيه الأولى فان مرضه هذا سوف يؤثر فى كفاءته وقت التلمذة كما يؤثر فى اخلاقه بما يتركب فى نفسه من مركبات سيكلوجية تحد من شخصيته . وكثيرا ما يكون التأخر فى المدرسة ناشئا من قصر النظر الذى لم يعالجه الأبوان فى ميعاده . كما أن كراهة الصبى للدرس قد تنشأ من ضعف فى الصحة كالأنيميا أو غيرها من الأمراض . فيجب أن يلتفت الأبوان قبل كل شىء الى صحة الطفل وأن يجعلا منها الشرط الأساسى لنموه الذهنى والأخلاق .

ولكن كما أن الطفل يرث تراثا بيولوجيا من أجسام أبويه وجدوده كذلك هو يرث تراثا اجتماعيا من أبويه ومن يمت اليهما بصلة حميمة كالجدة أوالعم أو من يتفق وجوده بالمنزل حتى الخادم . لأن الطفل ان يعرف الدنيا فى المستقبل عندما يبلغ الشباب إلا على الصورة الأولى التى نقشت فى ذهنه أيام طفولته. والذى ينقش هذه الصورة هو أبواه ومن يساكنهما من أقارب أوخدم . فإنه يقتدى بهم ويتعلم أخلاقه واستجاباته الاجتماعية منهم . وهنا تبرز لنا مهمة الأبوين لأن كلا منهما معلم لابنائه من حيث لا يدرى . بل هو أكثر من معلم ،لأن أثره ينغرس بالقدوة والمثال وليس بالتعليم والتلقين، فالأبوان المتشاجران المتسابان والبيت الذى لا يهدأ عن الصياح والصراخ والذى يخلو من النظام أو النظافة — كل هذه البيئة الاجتماعية ستنطبع فى ذهن الطفل كأنها النقش فى الحجر الذى يصعب بعد ذلك طمسه أو محوه . فلكى يربى الأبوان أولادهما يجب أن يبدءا بتربية نفسيهما . فلا يظهر أحدهما أمام الطفل إلا بالمظهر الذى ينبغى للرجل المتمدن المهذب الذى ينأى عن الرذائل ويتجنب الصغائر ويحب التعاون ويعامل من حوله بالحب والرعاية والاحترام. فإذا تمت هذه الفضائل فى الأبوين فإن منها ستكون القدوة الحسنة التى هى أعظم تراث اجتماعى يرثه الطفل من أبويه .

ولكنا لا نقصد من هذا الذى ذكرنا أن يقف الاباء موقفا سلبيا يقتصران فيه على أن يكون كل منهما قدوة . بل هما لا يستطيعان ذلك حتى لو شاءا . فإن الطفل إنسان يعامل أبويه ويأخذ ويعطى . بل لعله يربيهما بقدر ما ، من حيث إنه يفتح لهما أبوابا للاهتمام لم يكن أحدهما ليهتم بها لولاه . ومما يلاحظ أن الشخصية تزداد وتخصب بالزواج والأولاد . وزيادتها وخصبها تربية جديدة لا يحصل عليها الأعزب .

وعلى الأبوين أن يتجنبا فى تربية الأولاد أمرين كلاهما سيئ : وهما التدليل والقسوة . لأن الطفل المدلل الذى يبكى عندما تنكر عليه رغبة، والذى يحصل عليها بالبكاء قد استقام له من هذا السلوك أسلوب من الحياة سيعيش عليه ويجرى على قواعده حتى ولو بلغ الشيخوخة . فهو يعامل رؤساءه كما لو كان كل منهم أم أو أب ينتفض أمامهم ويثور ويهيج وينتظر أن يصالحوه . ولا يمكن نجاح فى المجتمع مع هذه الأخلاق .

وكذلك الطفل الذى عومل بالقسوة ينشأ وهو يظن أن الناس أعداؤه يقسون عليه ويجب عليه أن يحاماهم بالمكر أو البطش . وهو هنا لا يعرف التعاون ويتوجس من الصداقة . ولكن قل أن يقسو الأبوان على أولادهم لأن القسوة تأتى عادة من زوج لأم أو زوجة الأب الغريبين عن الطفل أو الصبى . و إصلاحيات الأحداث عندنا حافلة بهؤلاء المساكين الذين

نفروا من المجتمع لأنهم نشأوا فى بيئة منزليـة تدعو الى النفور . ولكن الأغلب أن الأبوين يدللان ابنهما ، وهنا ضرر قد ينقص فى مقداره عن القسوة ولكنه يدانيها .

وخير ما يتبع مع الأطفال أن يعاملهم الآباء كأنهم أجانب بلا قسوة و بلا محاباة. فالطفل يجب أن يعاقب بالتنبيه أو التوبيخ إذا أخطأ ، كما يكافأ بالابتسامة أو الثناء اذا أحسن. ويجب أن يعامل كأنه إنسان له احترامه وكرامته . فلا يصح لأحد أن يعتـدى على لعبته أو هوايته كما يجب ألا يكلف عملا إلا مع المكافأة المـالية مهما تكن صغيرة حتى يحب العمل و يرغب فيه . واذا كان الأولاد كثيرين فيمكن للأم أن تؤلف منهم جمعية مستقلة لهـا نظام مالى و إدارى وتأديبى حتى يتعلم الصبيان التعاون وحكم الشورى ، وحتى يتجرأوا على الابتكار فى المشروعات . ومثل هذه الجمعية تحتاج بالطبع الى عضوية الأبوين وإرشادهما .

إن عنوان هذه العجالة هو "مهمة الأبوين فى تربية الأطفال" ولكن يجب ألا نخدع هنا ونحسب أن مهمة الأب تساوى فى التربية مهمة الأم. فان التصاق الأم بالأولاد فى السنوات الخمس أو الست الأولى من أعمارهم يجعل لهـا الحظ الأكبر فى هذه التربية . فانها هى التى تختار طعامهم وتدبر مائدتهم وهى التى تعاشرهم فى البيت طول النهار . فهم يكتسبون الصحة والأخلاق منها . وأسوأ بل أتعس ما تصاب به أمة أن تكون نساؤها متخلفات رجعيات جاهلات . لأن الأم هى المربية الأولى للشعب .

أما قيمة الوالد فى التربية بعد ذلك فيجب أن تتجه نحو توفير وسائل التربية التى يمكن أن تشترى بالمـال فى البيت . ويجب أن يرافق أبناءه وزوجته الى الملاهى المفيدة التى ترفع النفوس ولا تخفضها . ويجب ان تكون له النصيحة الحسنة يقدمها لزوجته فى شأن هـذه التربية وما جد فيها من آراء . وعليه بعد ذلك أن يعنى بتهيئة ابنه للمدرسة وأن يختار له أفضل المدارس وأن يلاحظ تقدمه المدرسى و يبحث عن عيوبه و يعالجها أولا بأول .